

وحدة استطلاع الرأي العام | Public Opinion Polling Unit

ما محددات المشاعر الطائفية؟

What are the Determinants of Sectarian Sentiments?

” يتضمّن الحيز العام العديد من المجازات المرتبطة بمسألة المشاعر الطائفية. وعلى سبيل المثال، هناك افتراض سائد مفاده أن الفئة السكانية الأقل تعليماً، والأكثر ضعفاً، قد تنجرف بسهولة أكبر في اتجاه تبني الحجج الطائفية. ومع ذلك، يمكننا – بدلاً من الاعتماد على السرديات المتناقلة – تقييم هذه المسألة تجريبياً؛ إذ يتضمّن استطلاع المؤشر العربي مجموعة متنوعة من المؤشرات الديموغرافية والأسئلة التي تلتقط المشاعر الطائفية. ومن خلال هذه البيانات، يمكننا مباشرة تفسير العوامل التي تؤثر فعلياً في تفشي المشاعر الطائفية.

كلمات مفتاحية: الرأي العام، الطائفية.

Many tropes exist in the public sphere regarding the determinants of sectarian sentiment. For example, it is assumed that the less educated and more vulnerable might be more easily swayed by sectarian arguments. However, rather than rely anecdotal evidence, this question can be assessed empirically. The Arab Opinion Index contains a variety of demographic indicators as well as questions capturing sectarian sentiment. Using this data, factors that truly have an effect on the prevalence of sectarian sentiment can begin to be explained.

“

Keywords: Public Opinion, Sectarianism.

البيانات العامة

- مستويات الولاء للوطن.
- درجة الانتساب إلى الأحزاب الدينية.
- مدى احترام حقوق المرأة.
- الانخراط في الشؤون السياسية.
- الميل نحو احترام القوانين.

تبلغ قيمة معامل ثبات ألفا كرونباخ Cronbach's Alpha score لهذا المؤشر 0.81، وهي نسبة عالية للاتساق الداخلي؛ ومن ثم فهو مؤشر مفيد، ويلتقط بعض المشاعر الكامنة المشتركة. وفي هذه الحالة، يعبر هذا المؤشر عن المشاعر الطائفية. فكلما ارتفعت قيمة هذا المعامل، يجد المستجيب أكثر أنه يوجد "فرق" بين السنة والشيعية بشأن الأبعاد المذكورة آنفاً.

أثناء إلقاء نظرة أولية على هذه البيانات، يتبين أن المستجيبين السنة يرون أن السنة والشيعية لديهم معدلات اختلاف أكبر مما يجد المستجيبون الشيعة. ويعتمد هذا على متوسط درجة المؤشر الطائفي لكل مجموعة؛ فهي تبلغ 5.154 بالنسبة إلى المستجيبين السنة، و4.95 بالنسبة إلى المستجيبين الشيعة.

بعد ذلك، يتم استخدام نموذج الانحدار البسيط، مع اعتماد المؤشر الطائفي متغيراً تابعاً، إضافة إلى عدد من المتغيرات المستقلة ذات الصلة. وتشمل هذه المتغيرات المستويات التعليمية، والانتماء الطائفي/الديني للمستجيب، ومستوى الدخل، والشعور بالانتماء إلى الجماعة السياسية، والعمر، والجنس. وتكمن فكرة النموذج تلك، في معرفة أي من هذه المتغيرات المستقلة تؤثر في الآراء الطائفية التي التقطها المؤشر الطائفي؛ كما هو مبين آنفاً.

يكشف تحليل الانحدار عن بعض النتائج غير المتوقعة. أولاً: وفقاً للمؤشر الطائفي، كلما ارتفع مستوى التعليم لدى المستجيب، كان من المرجح أن يعبر عن وجود اختلاف بين السكان الشيعة والسكان السنة. وتتسم هذه العلاقة بأهمية تبلغ مستوى $P < 0.01$. ثانياً: من بين الانتماءات الدينية/المذهبية للمستجيبين في الاستطلاع، تبدو احتمالات تعبير المستجيبين الشيعة عن وجود فرق بين السنة والشيعية، أقل من غيرهم من المستجيبين، وهو ما يؤكد الاستنتاج العام من البيانات المذكورة من قبل. ثالثاً: وفقاً لهذا التحليل بلغة الأرقام، ليس للدخل والعمر والجنس أي أثر ملحوظ إحصائياً في وجهات النظر المذهبية. رابعاً وأخيراً: بحسب هذا الانحدار، فإن أولئك الذين يتمتعون بشعور أقل بالانتماء إلى جماعة سياسية موحدة في وطنهم الأم، هم أيضاً أكثر عرضة للتعبير عن وجود اختلافات جوهرية بين السنة والشيعية. وهذا أمر متوقع؛ فإذا كان من المرجح أن يكون الجواب أن السكان من السنة والشيعية في الوطن الأم لم يتوحدوا تاريخياً، فسترتفع نسبة التوافق بالنسبة إلى الاختلافات بين الطائفتين.

يشير الاستعراض السريع التالي للبيانات الصادرة عن الاستطلاع الذي أجري في مختلف البلدان إلى بعض الاستنتاجات اللافتة للانتباه. فعندما جرى طرح سؤال في دول محدّدة إن كان هناك اختلاف بين السنة والشيعية في مستوى ولائهم للوطن، أتت النتائج دالة على أن المستجيبين اللبنانيين هم الأكثر طائفية في إجاباتهم، إذ رأى 62 في المئة منهم أن هناك تفاوتاً كبيراً بين ولاء السنة والشيعية لوطنهم الأم. أما في الكويت والعراق، فقد انخفضت نسبة المستجيبين الذين يعتقدون أن هناك اختلافاً بينهم، إذ أجاب 40 في المئة من الكويتيين بطريقة طائفية، في حين أتت إجابات 34 في المئة فقط من المستجيبين العراقيين تحمل طابعاً طائفيًا.

أما السؤال الثاني فتطرق إلى ما إذا كان الوطن العربي يواجه، بصورة عامة، توترات طائفية بين السنة والشيعية. وعلى عكس السؤال السابق، جرى طرح هذا السؤال على جميع الدول المشاركة في استطلاع المؤشر العربي.

عموماً، يرى 44 في المئة من المستجيبين أن هناك، بالتأكيد، مستوى من التوتر الطائفي في المنطقة بين السنة والشيعية، في حين وجد 32 في المئة منهم أن هناك بعض التوتر الطائفي. ومن اللافت للانتباه، أن البلدان التي تمتاز بالتناسل المذهبي، مثل الأردن التي لا يوجد فيها عدد يذكر من السكان الشيعة، مالت فيها ردود المستجيبين إلى القول إن هناك توتراً طائفيًا يسود الوطن العربي. ففي الأردن على سبيل المثال، رأى 78 في المئة من الذين جرى استطلاع آرائهم، أن التوتر الطائفي موجود بالتأكيد، في حين وجد 13 في المئة منهم أن هناك بعض التوتر؛ ما شكّل أغلبية ساحقة بنسبة 91 في المئة من مجموع المستجيبين. وهذا يعني ضمناً أن المعتقد السائد بشأن التوتر بين السنة والشيعية ربما لا يرتبط فعلياً بالتوتر على الأرض في هذه الدول، بل قد يكون الناس مدفوعين بعوامل أخرى، مثل التمثيل في وسائل الإعلام والدعاية.

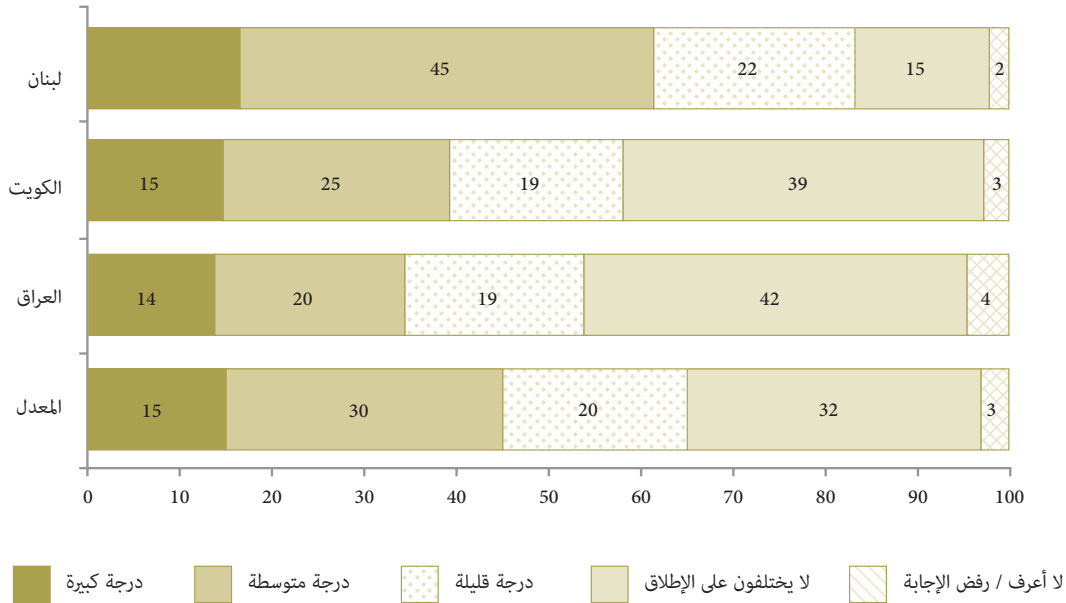
تحليل إحصائي

لتحليل هذه الديناميات تحليلًا أعمق، جرى وضع تحليل إحصائي أشد صرامة من خلال بلورة مقاييس جديدة واستخدام أدوات، مثل تحليل الانحدار Regression Analysis.

وللقيام بذلك، تمت - بدايةً - عملية صوغ "مؤشر" للطائفية، وهو يتكوّن من مجموعة متنوعة من الأسئلة تتعلّق بموضوع العلاقات بين السنة والشيعية، ولا سيما كيفية نظرة المستجيبين إلى الناس الذين ينتمون إلى المذهب الآخر. وجرى التركيز، بخاصة، على الجوانب السياسية للمشاعر الطائفية. وعلى سبيل المثال، فإنهم يختلفون في ما يلي:

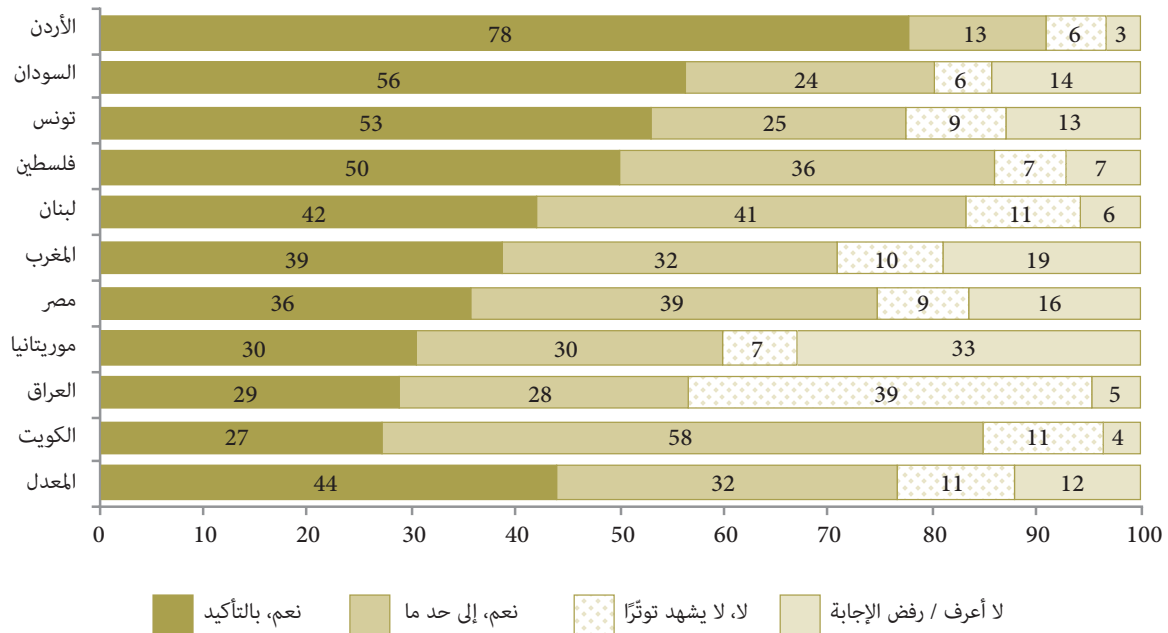
الشكل (1)

هل هناك اختلاف بين السنة والشيعة في مستويات الولاء للوطن؟



الشكل (2)

بحسب رأيك، هل يشهد العالم توترًا بين السنة والشيعة؟



الاختلافات الدينية مقابل الاختلافات السياسية، قد يكشف عما هو جديد بشأن محددات الفكر الطائفي.

والنتائج متوافرة أدناه. ويتم تفسير الانحدار اللوجستي المتعدد الحدود بهذه الطريقة: ترتبط زيادة أحد المتغيرات بمعدل وحدة واحدة بزيادة معامل الارتباط Correlation Coefficient أو انخفاضه في الاحتمالات اللوغاريتمية النسبية Relative log odds؛ لذلك نجد في هذا التحليل، على سبيل المثال، أنه إذا كان الشخص شيعياً، فإن هذا يرتبط بزيادة 0.25 في الاحتمالات اللوغاريتمية النسبية بالنظر إلى اعتقاد مفاده أن الاختلافات الدينية هي أساس الخلاف بين السنة والشيعية. وبعبارة أخرى، فإن هذا يعني أن الشيعة يرحّبون. وفق هذا النموذج، أن الاختلافات الدينية هي المسؤولة عن التوتر بين المجتمعين.

وفي هذا النموذج، يتسم الدخل بأهمية إحصائية. فأولئك الذين ينعمون بدخل أعلى لا يؤمنون عادة بأن الاختلافات بين الطوائف السنية والشيعية تحمل طابعاً دينياً، وتنطبق العلاقة نفسها على متغير "الجماعة السياسية". فكلما تنامي الإحساس بالانتماء إلى الجماعة السياسية، تعزّز الاعتقاد المتمثل بأن التوتر السني الشيعي يعود إلى اختلافات سياسية، لا دينية.

بعد ذلك، نحاول اعتماد مقياس مختلف للطائفية؛ إذ نطرح السؤال التالي في المؤشر العربي: "بحسب رأيك، هل يشهد العالم توتراً بين الشيعة والسنة؟".

ثم يجري تقديم إجابتين، وعلى المستجيبين أن يختاروا الإجابة التي تعبّر عن رأيهم وأن يفصحوا عن الدرجة التي يصل إليها هذا التعبير. أما الإجابة الأولى، فهي: "إن التوتر بين الشيعة والسنة هو نتيجة لاختلافات كبيرة في تفسير الدين الإسلامي"، في حين أن الإجابة الثانية هي: "على الرغم من وجود اختلافات في تفسير الدين بين الشيعة والسنة، فإن التوتر بينهما هو نتيجة لصراع على النفوذ والسلطة". قد تبدو هاتان الإجابتان بمنزلة قُطْبَيْن متعارضين لنطاق طيفي واحد؛ بالنسبة إلى أولئك الذين يرون أن هناك اختلافات دينية بين الطائفتين من ناحية، والذين يرون أن الخلافات السياسية هي جوهر الخلاف بين المذاهبين من ناحية أخرى. وهكذا، جرى وضع مقياس؛ بحيث يعني الرقم "1" "أتفق كثيراً مع إجابة الاختلافات الدينية" والرقم "4" "أتفق كثيراً مع إجابة الاختلافات السياسية".

بعد ذلك، جرى اعتماد هذا المقياس الطائفي الجديد بغية استخدام الانحدار اللوجستي المتعدد الحدود Multinomial Logistic Regression، لمعرفة ما إذا كان المقياس الجديد الذي يركّز على

الشكل (3)
مؤشر الطاقة



جدول العلاقة بين متغير "الطائفية" ومتغيرات أخرى

| النموذج 1: " الطائفية " | |
|-------------------------|-------------------------------------|
| ***0.009 (0.003) | المستوى التعليمي |
| | الطائفة/ المذهب |
| ***-0.18 (0.033) | شيعي |
| -0.023 (0.024) | مستوى الدخل |
| ***-0.097 (0.015) | الشعور بالجماعة السياسية الموحدة |
| 0.001 (0.001) | العمر |
| -0.030 (0.028) | الجنس |
| 4197 | حجم العينة (عدد) |

p<0.01, **p<0.05, *p<0.1***

التوتر/ الخلاف السني - الشيعي المتأصل لا يرتبط بالضرورة بتجربة شخصية في النزاع أو القضايا الطائفية. ففي الواقع، شهدت البلدان التي تتميز بالتكوين الطائفي الأكثر تجانساً أكبر عدد من المستجيبين الذين يعتقدون أنه ثمة توتر جدي بين السنة والشيعية. ومن الأمور المهمة التي تضمّنها هذا التحليل أن استطلاعات الرأي العام قد تكون مفيدة جداً في توصيف المحددات لأفكار واتجاهات معينة، بطريقة جرى تفسيرها من خلال تحليل تجريبي بدلاً من الاعتماد على أدلة مستقاة من السرديات.

خلاصة

بصورة عامة، يلقي هذا التحليل الأولي بعض الضوء على محددات الطائفية. يقترح كلا النموذجين أن الإحساس بالانتماء إلى الجماعة السياسية مهم. فكلما تنامي شعور الانتماء هذا، خففت نسبة التعبير عن آراء طائفية، أو أن شعور الانتماء إلى الجماعة السياسية يجعل المرء يعزو الخلاف بين السنة والشيعية إلى أسباب سياسية أكثر منها دينية (أي إنها تتعلق بالهوية). وتشير البيانات إلى أن الاعتقاد أن